

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع اليوم دراستنا لرسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في غلاطية، حيث عالج الرسول بولس مشكلة هامة واجهت الكنيسة عند نشوئها. أما هذه المشكلة فكانت علاقة المؤمنين في المسيح بالشرعية، أي بالناموس الذي أنزله الله قديما على كلمه النبي موسى. وإن كان يجب عليهم لكي يخلصوا أن يعملوا بهذه الشرعية، ويمارسوا فريضة الختان أو التطهير. وهذا ما كان قد علّم به بعض المعلمين من أصل يهودي، الذين هاجموا الرسول بولس شخصيا.

فردّ عليهم بولس مؤكداً أن المخلص المسيح قد دعاه شخصيا وأعلن له رسالة الإنجيل، وأن الرسل أفرزوه رسولا للأمم. وأوضح الرسول بولس أن الإنسان يتبرر بالإيمان بالمسيح فقط. وأن موعد الله لإبراهيم الذي تبرر بالإيمان، قد تم بمجيء المسيح. وأن الناموس كان عهدا شرطيا ومؤقتا إلى أن يعلن الخلاص بالإيمان بالمسيح. واعتبر بولس أن الإنسان كان قاصرا في عهد الناموس. وأن كل من يؤمن بالمسيح يصبح من أولاد الله، ومن نسل إبراهيم الحقيقي ويرث مواعيد الله له. وأن المعمودية بالماء ترمز لإتحاده مع المسيح في موته وقيامته.

وأشار الرسول بولس أنه في المسيح لم يعد هناك فرق بين شعب وآخر، وصار جميع المؤمنين واحدا. وهكذا لم يعد لليهود شعب الله الخاص، بل صار المؤمنون بالمسيح هم شعب الله الذين يرثون مواعيد الله لإبراهيم. وشبه الرسول بولس الإنسان في عصر الناموس بالولد القاصر الذي كان تحت وصاية قوانين الناموس الثقيلة. ولكن في ملء الزمان، أي في الوقت المحدد من قبل الله، أرسل الله المسيح، من نسل المرأة كما وعد.

لا بأس أن نعود الآن مرة أخرى إلى ما كتبه الرسول بولس في هذه الآية لأهميته: "ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودا من امرأة تحت الناموس." (غلاطية ٤: ٤) كان الله يحضّر العالم منذ الأزل لمجيء ابنه أو كلمته الأزلي المخلص المسيح. أما تعبير ابن الله فهو تعبير مجازي يعبر عن حقيقة روحية هامة. فهي لا تعني البتة كما يظن البعض أن الله تزوج وأنجب ابنا، لأن الله روح. إن ابن الله هو المعبر عن الله نفسه والذي يحمل صفاته. ولهذا كتب الرسول بولس في رسالته إلى المؤمنين في كولوسي أن ابن الله هو صورة الله غير المنظور، الذي فيه خلقت الأكوان والعوالم.

ولقد وصف الرسول يوحنا في بشارته ابن الله، أنه الكلمة الأزلي الذي كان عند الله، والذي كان متحدا مع الله. أو هو العقل المدبر الذي خلق بواسطته كل شيء، لا بل هو مصدر الحياة، التي وجدت به. إن إتحاد الكلمة الأزلي أو ابن الله بالله إذن، هو تأكيد لوحداية الله، فإله واحد. ونحن كمسيحيين لا نؤمن بثلاثة آلهة كما يدّعي البعض، بل نؤمن بإله واحد تجلى في ثلاثة أقانيم أو هيئات هي الآب و الابن والروح القدس.

فالآب هو الخالق، الذي خلق الأكوان بواسطة الابن أو الكلمة الأزلي. هذا الابن الذي تجسّد وصار إنسانا بواسطة الروح القدس، والذي تم عمل الفداء، بالتكفير عن خطية الإنسان، وقيامته الظاهرة من بين الأموات. أما الروح القدس فقد ساهم في الخلق، وتكلم من خلال الأنبياء، وحلّ في يوم الخمسين على الرسل، وبدأ الكنيسة المسيحية. وهو يحل في قلب كل من يؤمن بالمخلص المسيح، ويجدد حياته، ويجعله من أولاد الله. إن هذه الأقانيم أو الهيئات الثلاث الآب و الابن والروح القدس إذن، هي إله واحد، هو الله تعالى العليّ القدير. إن الله في المسيحية هو إله واحد، على الرغم مما يزعمه البعض أن المسيحية تؤمن بثلاثة آلهة.

نعود الآن إلى الآية المقدسة التي نحن في صددنا، إذ كتب الرسول بولس أنه في ملء الزمان، أي في الوقت المعين من قبل الله، وبعد أن اكتملت كل التحضيرات، أرسل الله ابنه أو كلمته الأزلي إلى عالما. لعل السؤال الآن ما هي هذه التحضيرات التي أعدها الله؟

فمنذ أن سقط آدم وحواء في العصيان، أخذ الله يحضّر الجنس البشري لمجيء المخلص. فتعامل مع إبراهيم الخليل، وأقام معه عهدا أنه بنسله سيبارك كل العالم. ثم تعامل الله مع نسل إبراهيم بالجسد، أو نسل يعقوب الذين هم بنو إسرائيل، من خلال كلمته النبي موسى. فأعطاهم الناموس، الذي كشف كما ذكرنا سابقا، حقيقة عبودية الإنسان للخطية ومدى حاجته إلى المخلص. وأعلن الله لبني إسرائيل، أن الإنسان بحاجة للتكفير عن خطاياها، لكي يتبرر أمام الله. فوضع لهم نظام الذبائح الحيوانية، لكي يكفروا عن خطاياهم. وهي التي كانت ترمز إلى الذبيحة الحقيقية التي سيقوم بها المسيح.

ثم تعامل الله مع الإنسان بواسطة أنبياء العهد القديم، فوعد من خلالهم بمجيء المخلص، الذي سيقم عهدا جديدا ما بين الله والإنسان، عن طريق عمله الكفاري، ويبدأ عصرا جديدا هو عصر ملكوت الله. ولقد انتظر بنو إسرائيل واليهود تحقق هذا الوعد مئات السنين. لكن وبسبب عصيان بنو إسرائيل وبنو يهوذا وتمردهم على الله. فقد دمر الله دولتيهما في السامرة وأورشليم، وتم سبي الشعب إلى آشور وبابل. ثم عاد قسم من الشعب إلى فلسطين، بحسب وعود الله لهم، لينتظروا مجيء المخلص المسيح، وإعلان خلاص الله. وفعلا بعد حوالي أربعة قرون من النبي مالاخي، الذي كان آخر نبي في العهد القديم، ولد المسيح. أي أرسل

الله ابنه أو كلمته الأزلي المخلص المسيح إلى عالمنا في ملء الزمان، أي بعد أن اكتملت كل التحضيرات التي أعدها الله. وصار العالم مهياً لمجيء هذا المخلص الفريد.

يبدو واضحاً من هذه الآيات المقدسة التي دوّنها لنا الرسول بولس، أن الله أعطى الشريعة أو الناموس ولفترة مؤقتة إلى أن يأتي المخلص المسيح. لأن الإنسان كان كالولد القاصر، وبحاجة إلى من يقوده ويرشده. لكن عندما اكتملت كل التحضيرات وبلغ الإنسان سن النضوج، أي في ملء الزمان، أرسل الله ابنه، أي المسيح. وكأن الرسول بولس أراد القول لهؤلاء المعلمين المسيحيين اليهود الذين أرادوا العودة إلى حفظ الناموس: أنه إذا كان الناموس قد وضع لفترة مؤقتة، وعندما كان الإنسان في مرحلة الطفولة، فلماذا تريدون منا الآن أن نعود إليه؟ لقد أتى المخلص المسيح، وبدأ عهداً جديداً معلناً انتهاء زمن عهد الناموس.

أجل لقد أرسل الله ابنه الوحيد، الكلمة الأزلي، وذلك عن طريق تجسده وولادته من العذراء مريم، عندما حُبِلَ به في أحشائها بالروح القدس. ولهذا كتب الرسول بولس " أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة." أي ولد المسيح من نسل المرأة، ومن دون زرع بشري، كما أوضحنا في اللقاء السابق. ولهذا كتب الرسول يوحنا أيضاً في بشارته قائلاً: "والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيده من الآب مملوءاً نعمةً وحقاً." (بشارة يوحنا ١: ١٤) نعم يا أعزائي إن المخلص المسيح الذي أتى، هو كلمة الله الأزلي الابن الوحيد، الذي تجسد وصار إنساناً مثلنا، لكن من دون خطيئة. وكان هو صورة الله غير المنظور، إذ تجلى فيه مجد الله، وكان مملوءاً بالنعمة والحق.

وماذا عنك مستمعي الكريم؟ هل مازلت تعتقد أنه بإمكانك أن تتبرر أمام الله وتخلص عن طريق حفظك لوصايا الله وقيامك بالفرائض الدينية؟ لقد أتى المخلص المسيح وأعلن انتهاء زمن الوصايا، وبدء عصر جديد هو عصر التبشير بالإيمان. فهل تأتي بالإيمان إلى هذا المخلص الوحيد والفريد؟